مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٥/٧/٢٤

ولنا كلمة ..

فى الرد على الشـــيخ البـــاقورى

بقدر ما كان الشيخ الباقورى معبرا عن ضمير الامة فى دعوته امام المؤتمر القومى الى تجديد ترشيح الرئيس انور السادات رئيسا للجمهورية ، بقدر ماجانبه التوفيق عندما حاول ان يعزز دعـوته هـذه بادلة شرعيـة ومواقف من التاريخ الاسلامى ، لم تكن القضـية بحاجة اليهـا فى الحقيقة . فرصيد الانجازات الهـائلة وحـده يكفى ويزيد ، ويقف بشـموخ وكبرياء معززا دعـوة تجـديد الترشـيح الى ابعـد مدى .

لقد فاجانا الشيخ الباقورى فى كلمته بحجج غريبة ، بنى عليها استنتاجات اشد غرابة ، اقل ما يمكن ان توصف به انها لا تعبر باى حال عن روح الاسلام

فى البدء روى الشيخ الباقورى حديثا شريفا يقول ان « من اعز سلطان الله اعزه الله » ، ثم قال ان مفهوم المخالفة يعنى ان من اهان سلطان الله اهانه الله

وخرج من هذه الفكرة الى نقطة اخرى اذ قال ان ، سلطان الله امير فى الخليج او ملك فى مملكة او رئيس فى جمهورية

وانتقل الى معنى آخر مؤداه « ان الاكثار من الانتخابات لرئيس الجمهورية ينازعه امران . جماعة يؤيدون ، ويذكرون المحاسن ، وجماعة يعارضون يقولون بالمثالب . وذكر مثالب رجل سيكون بعد قليل رئيسا للجمهورية فيه لا ريب لون من المهانة » .

وللخلاص من ذلك — فى راى الشيخ الباقورى — ان نجنبه مثل هذا الموقف « يعنى الانتخابات » .

بعد ذلك روى الشيخ الباقورى قصة من كتاب « الموافقات » للامام الشاطبى ، تقول ان من قص ذنب بغله فليس عليه ارش « غرامة » الا ان تكون بغل السلطان فانت اذا قصصت ذنبها ، فعليك الارش .

لماذا ؟ — سال الشيخ الباقورى ثم اجاب : لان فى هذا اهانة او نقصا من قدر صاحب السلطان فى البلد ، الذى سوف يستخدم بغله ذيلها مقطوع !

ويعد ان انتهى الشيخ الباقورى راى انه من الافضل ان نجنب السلطان تجربة الانتخابات ، لما فيها كما اعتبره اهانة له ، ثم ضرب مثلا بما حدث بعد وفاة النبى محمد ، عندما بويع ابوبكر الصديق خليفة للمسلمين ، ثم قال ان طريقة الانتخاب تمت بصورة تجنب المسلمين الخلاف .

وهذا كله يحتاج الى مناقشة ..

ونحن نكرر هنا ان مناقشتنا تنصب اساسا على تفسير النصوص والوقائع التى ساقها الشيخ الباقورى ، ومعانيها المجردة فى الاسلام . وهذه قضية منفصلة تماما عن الدعوة التى عبر عنها ، والتى نتفق معه فيها على طول الخط .

يتساءل اولا ، هل المقصود بسلطان الله فى الاسلام هو بالتحديد اى شخص يتولى الحكم اميرا كان او ملكا او رئيسا ، كما قال الشيخ الباقورى ؟

يقول شيخنا ابو بكر الطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » : وليس لله سلطان الا وقد اخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان .

وثمة حديث شريف آخر يوضح الفكرة ، اذ يقول : ان من اجلال الله اكرام ذى السلطان المقسط (العادل) .

العدل اذن شرط لاكرام السلطان والولاء له . والحديث يقول — افضل شهداء امتى رجل قام الى امام جائر ،

فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك .. الى آخر الحديث . ونقل ابوبكر الصديق عن النبى «عليه السلام» قوله : ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده، اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب .

وهذا الخليفة ابو بكر يقول بعد بيعته : اما بعد ايها الناس ، فانى وليت عليكم ولست بخيركم . فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى اطيعونى ما اطعت الله ورسوله ، فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم .

وكان عمر بن الخطاب يصارح الناس بأن لهم عليه حق النصيحة ولو آذوه. وقد سأل الناس يوما ان يدلوه على عوجه فقال أحدهم : والله لو علمنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا . فحمد الله ان جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه . ثم خطب يوما فقال : «لوددت انى وأياكم فى سفينة فى لجب البحر تذهب بنا شرقا وغربا ، فلن يعجز الناس ان يولوا رجلا منهم ، فان استقام اتبعوه ، وان حيف « ظلم » فقتلوه . فقال طلحة: وما عليك لو قلت وان أعوج عزلوه؟ قال عمر : لا ، القتل أنكل « أكثر عبرة » لمن بعده .

الكلام اذن يجب الا يؤخذ بظاهره ، ولا على اطلاقه . فليس أى حاكم بعد ممثلا لسلطان الله . ولابد أن ننبه الى ان هذا تعبير مجازى لم يتردد الا نادرا فى الاحاديث الشريفة ، بل ان وصف الحاكم باعتباره سلطان الله لم يرد على الاطلاق فى القرآن الكريم ، ويكاد يكون هذا الحديث الذى انتقاه الشيخ الباقورى هو الوحيد الذى يسمى الحاكم « سلطان الله » . هذا اذا لم تكن عبارة من اعز سلطان الله ، مقصودا بها من اعز كلمة الله ودينه .

وذلك يسقط على الفور الاستنتاج الذى بنى عليه الشيخ الباقورى عندما قال ان من أهان سلطان الله فقد أهان الله . ذلك أن عمر بن الخطاب لم يبح فقط اهانة الحاكم الظالم

اننا اذا سرنا وراء استنتاج الشيخ الباقورى فلابد ان نعتبر الملك فاروق — ايضا — سلطان الله ، وسوف يكون خلعه وطرده اهانة لسلطان الله ! وسوف نصبح امام مفارقة مثيرة ، اذ نجده بينما يقف داعيا الى تجديد ترشيح رجل من قادة ثورة ٢٣ يوليو — التى طردت الملك — يطلق حكما يعتبر به هذا الملك سلطان الله !!

بعد ذلك نقف امام قول الشيخ الباقورى ان الاكثار من الانتخابات فيه لون من المهانة . ولا نستطيع ان نكتم دهشتنا من هذه الدعوة التى تسمع لاول مرة فى انتقاد الديمقراطية ، ولا نجد لها — ايضا — اصلا فى فقه او دين او حتى علم حديث ، الا فى كتب دعاة النازية والحكم المطلق . لكننا مع ذلك نذكر شيخنا الباقورى بأن «الشورى» هى أساس الحكم فى الاسلام .

وليسمح لنا شيخنا ان نناقشه كذلك فى قص دليل بغلة الامير ، التى أراد ان يدلل بها على ان الاسلام لم يكتف فقط برفض اهانة الامير بل ذهب الى حد استنكار اهانة بغلته ايضا ! .

وبصرف النظر عن مدى لياقة التشبيه، فاننا نذكر الشيخ الباقورى هنا بالنصوص الشهيرة فى الاسلام — وهى بلا حصر — التى تساوى بين الناس وفى مقدمتها « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » « وليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى »

ونقول بعد ذلك انه اذا كان الاسلام ساوى فى الاصل بين الامير والخفير ، فلااقل من أن يساوى بين بغله كل منهما !.

ولن نريد ان نطيل فى مناقشة هذه النقطة ، اذ سنعتبر القصد من رواية القصة هو اطلاق دعابة تبعث على المرح والضحك اكثرمانخاطب العقل والضمير.

بقيتبعد ذلك حكاية بيعة ابو بكر؛ التى قدمها الشيخ الباقورى باعتبارها اختيارا تم لتجنب الخلاف . وهذه مغالطة تاريخية تظلم أبا بكر وتظلم معه التاريخ الاسلامى . وقد صحح غيرنا هذه الواقعة وروى كيف ان بيعة أبى بكر تمت بعد قدر عظيم من الخلاف والحوار والاخذ والرد فى العلن ، الذى قاد أصحابه الى بر الامان والى أفضل اختيار

انشيخنا الباقوريعلم ذلكلكله واكثر منه . لكنه شاء لحكمة يعلمها الله أن يقدم الينا فكر الاسلام وتاريخه بهذه الصورة العجيبة !

شيخنا الباقورى ، غفر الله لك !